التفاعل النصي ودوره في انسجام النص القرآني
دراسة لنماذج مختارة من القرآن الكريم

أ.د. عماد عبد يحيى
أستاذ متمرس
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة الموصل
07708898156

أ.م.د. عبد الله خليف خضير الحياني
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة الموصل
abdullah.khalif.k@uomosul.edu.iq
07703844417

مستخلص البحث:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على العناصر اللغوية سواء أكانت نصية أم خارج النص فإنّها تعدُّ محركاً مهماً للانسجام، فالانسجام قد ينظر اليه على أنّه كامن في النص، وهذا الرأي فيه جانب كبير من الدقة إذ يمتلك النص القرآني عناصر الانسجام وكوامنه بدءًا من الصيغ والتراكيب مروراً بالدلالة. كما أنّ الانسجام قد يكون خارج النص أي انّ المتلقي هو من يحكم على نص ما بأنّه منسجم. ولا تخفى علينا عناصر التفاعل النصي التي لا ترتبط بالنص وحده إنّما تتجاوزه إلى متلقيه ومرسله وسياقه وعناصر العملية التواصلية كافة، فالنص بما يمتلكه من مكنونات وعناصر متفاعلة فيما بينها تولّد بذلك انسجاماً داخلياً، والمتلقي بما يملكه من ثقافة وفكر يؤهلانه للتفاعل مع هذا النص أو ذاك بطرائق مختلفة فضلاً عن دور السياق وبقية عناصر العملية التواصلية في هذا التفاعل بين النص والمتلقي الذي يتولد منه الانسجام بين الطرفين؛ لذا كان التفاعل النصي الداخلي أو الخارجي محصلة الانسجام العام في العملية التواصلية برمتها ولاسيما بين النص ومتلقيه، ونظرا لضيق البحث التزمنا بنماذج مختارة، واعتمد البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: النص، الانسجام، التفاعل النصي، الخطاب

توطئة:

إنّ صعوبة الإلمام بمعنى بالقراءة أو بالأحرى استحالة اختصار النص إلى معنى واحد سببه أنّ العلامة اللغوية مكان يختلط فيه المعنى الحرفي والمعنى المجازي اختلاطاً يبلغ قوته حينما يباشر القارئ الدخول في نصٍ ما، فلا يعرف على وجه اليقين إنْ كان عليه أن ينشئ تأويله حسب بنية الجملة القواعدية وما تفترضه أنظمة النحو والصرف أو بحسب بنيتها البلاغية أو بالرجوع إلى بنيتها اللغوية الخطابية والبيانية، أو بما تفرضه علينا قوانين البنية الصوتية. فوقائع اللغة في

ذاتها إنما هي نتاج ثقافي، فالمادة اللغوية تشكّل نظاماً متكاملاً ومرتباً في داخل هيكل متناسق يمثله النص أو الخطاب، ومع ذلك فإنّ النظام في النص يقوم بأكمله في إطار اللغة، ويخضع لإمكاناتها، فإذا أخذنا في حسباننا البنية اللغوية الأساسية فإنّ دراسة لغة نص ما تصبح دراسة نمط معين من الضبط والترتيب والتعديل والاستثمار لعناصر اللغة المستعملة، فضلاً عن إضافته لإمكاناتها قيماً جديدة، دون أن يكون بوسعه إلغاء القيم الأولى أو تجاهلها[1].

إنّ تفاعل عدد من القوانين داخل النص ينشأ عنه التناسب والتماسك، وتتحقق الخاصية الجمالية للنص، لكن الصعوبة تكمن في وصف طريقة التفاعل لهذه القوانين المتعددة التي اجتمعت في سياق واحد، وهذا التفاعل يضمن تلاحم البنية، ويكسب النص النوعية، وهو يمارس تأثيره مباشرة في القوانين النصية[2]، وما ينتج عن هذا التفاعل من بروز شديد لأحد قوانين النص على بقية القوانين الأخرى[3]، ولا يتعلق الأمر بزوال عدد من القوانين وانبعاث قوانين أخرى بقدر ما يتعلق بانزلاقات في العلاقات المتبادلة لمختلف قوانين النظام، أي بتبديل بؤرة النص، فالقوانين الثانوية في نص معين قد تكون أساسية في نص آخر، وعلى الخلاف من ذلك فالقوانين الأساسية لا تعود لها سوى أهمية صغرى فتغدو اختيارية[4]؛ وبذلك تكون البنية الجمالية للنص مجموعاً مركباً «من مكونات مترابطة، ومتحققة بصورة عملية وجمالية في سلسلة متصاعدة ومعقدة، يربط بينها على التوالي العنصر المهيمن على هذه المكونات»[5]. و«هكذا يمكن القول إنّ للغة قوانين خاصة في إنتاج الدلالة، تعتمد أساساً على تفاعل مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية من خلال علاقتي التركيب والاستبدال، فالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتكرار والوصل والقطع والعطف والاستئناف كلها ظواهر تركيبية على مستوى الجملة تمثل قوانين إنتاج الدلالة على هذا المحور كما تمثل عملية الاستبدال محوراً آخر ويتفاعل المحوران مع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية ليشكل هذا التفاعل المعقد قانون انتاج الدلالة على مستوى الجملة ناهيك عن مستوى النص»[6]. من هنا يمكن فهم تفاعل القوانين النصية على أنّه هيمنة قانون معين على النص، ويكون هذا القانون المكون البؤري للنص، ويؤثر في القوانين الأخرى التي تكوّن النص،

(1) ينظر: ((علم الاسلوب وصلته بعلم اللغة))، د.صلاح فضل، مجلة فصول، مج 5، ع1، 1984م/53.
(2) ينظر: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس /81.
(3) ينظر: ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي /16.
(4) ينظر: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس /85.
(5) ((اللغة المعيارية واللغة الشعرية))، بان موكاروفسكي، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م /38.
(6) النص والسلطة والحقيقة، ارادة المعرفة وارادة الهيمنة /85-86.

ويتحكم فيها ويحددها[1]، ولا يكون التفاعل بهيمنة هذا القانون أو ذاك مؤشراً على أنّ القوانين الثانوية لا أهمية لها في التفاعل، كما إنّ غياب واحدٍ من هذه القوانين لا يفقد النص هويته قدر ما يفتح أمام القارئ دلالة جديدة سببها غياب هذا القانون. فالتوافق بين عناصر النص . يعني أهمية كل عنصر منه في ذاته وإنّ لكلّ عنصر منه خصائصه الذاتية. وتجاوبها مع بعضها واتصال الواحد منها بالآخر يكسبها بعداً جمالياً لا يمكن أن يتحقق في كلّ منها على انفراد[2]، فـ«البنية من حيث علاقتها بالمفاهيم التي تتألف منها، ملاحظا ان كل مفهوم لنسق معطى تحدده المفاهيم الأخرى داخل ذلك النسق، على نحو يحدد . من ثم . كلّ المفاهيم الأخرى لذلك النسق، فالمفهوم المفرد ليس له معنى كامل في نفسه، بل يظل غامضاً، لا يتحقق معناه التام إلاّ من خلال علاقاته بالنسق الكلي فحسب»[3]، ومن الطبيعي أن يسهم الانسجام في هذا بوصفه طريقة في معالجة المعاني ،وطريقة في التعبير عنها ،فالطريقة التي تؤثر تلك التي تراعي التوافق والتناسب سواء في معالجة المعاني أم في التعبير عنها.

فالانسجام يكتسب أهميته من حيث اتصاله بكل العناصر التي يتشكل منها النص، وكذا من حيث فاعليته في إحداث ما يتوخاه النص[4]. ويمكننا القول ان المعنى هو «محصلة التفاعل الدلالي بين معاني الألفاظ من ناحية، ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية الأخرى، أمّا الغرض فهو الفكرة العامة، الفكرة الخام قبل أن تصاغ في أسلوب بعينه، التي لا وجود لها إلاّ على سبيل الافتراض والتجاوز»[5]، وهذا ما يفهم من قول الجاحظ (ت255هـ): «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك»[6]، ثم أضاف قائلاً: قائلاً: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم أو سوار فكما أنّه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة

---

(1) ينظر: النظرية الادبية المعاصرة/29.
(2) ينظر: ((الاسلوب عند حازم القرطاجني، دراسة في ماهيته ومهمته))، د.قاسم المومي، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الاداب والعلوم الانسانية، ع13، 1988م: 167.
(3) ((اللغة المعيارية واللغة الشعرية))، بان موكاروفسكي، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م /38.
(4) ينظر: ((الأسلوب عند حازم القرطاجني، دراسة في ماهيته ومهمته))، د.قاسم المومي، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع13، 1988م/166.
(5) ((مفهوم النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية))، نصر حامد ابو زيد، مجلة فصول، فصول، مج5، ع1، 1984م /19- 20.
(6) الحيوان :131/3.

أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه وكما لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة ذاك أنفس لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه أن لا يكون ذلك تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام هذا لفظه وهو صريح في أنّ الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه»[1]، فهذا الوصف ينطبق على عناصر النص التي تجتمع جميعها في جودة السبك، وكذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: «واعلمْ أنَّ مثَلَ واضع الكلام مَثَلُ من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيبُ بعضَها في بعض حتى تصيرَ قطعةً واحدة. وذلك أنك إذا قلتَ: **(ضرب زيدٌ عمراً يومَ الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له)** فإنك تحصلُ من مجموعِ هذه الكلمِ كلِّها على مفهومٍ هو معنى واحدٌ لا عِدَّةُ معانٍ كما يتوهَّمه الناسُ. وذلك لأنّك لم تأتِ بهذه الكَلِمِ لتفيده أنفُسَ معانيها، وإنّما جئتَ بها لتفيده وجوهُ التعلُّق التي بينَ الفعل الذي هو **(ضَرَبَ)** وبينَ ما عملَ فيه والأحكامُ التي هي محصولُ التعلُّق. وإذا كان الأمرُ كذلك فينبغي لنا أن ننظرَ في المفعولية من **(عمرٍو)**، وكونِ **(يوم الجمعة)** زماناً للضرب، وكونِ الضرب ضرباً شديداً، وكونِ للتأديب علَّةً للضرب. ليتصوَّر فيها أن تُفردَ عن المعنى الأول الذي هو أصلُ الفائدةِ، وهو إسنادُ **(ضَرَبَ)** إلى **(زيد)** وإثباتُ الضَّرْبِ به له حتى يعقلَ كونُ **(عمرو)** مفعولاً به، وكونُ **(يوم الجمعة)** مفعولاً فيه، وكونُ ضرباً شديداً مصدراً، وكونُ التأديب مفعولاً له من غيرِ أن يخطُر ببالك كونُ زيد فاعلاً للضربِ، وإذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصوَّر؛ لأنّ **(عمراً)** مفعولٌ لضرب وَقَع من **(زيد)** عليه و**(يومَ الجمعة)** زمانٌ لضربَ وقع من **(زيد)**، و**(ضرباً شديداً)** بيانٌ لذلك الضرب كيف هو وما صفته والأديبُ علة له وبيان أنه كان الغرض منه . وإذا كان ذلك كذلك بانَ منه وثَبَتَ أن المفهومَ من مجموع الكلم معنًى واحدٌ لا عدةُ معانٍ وهو إثباتُك زيداً فاعلاً ضرْباً لعمرْو في وقتِ كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا. ولهذا المعنى تقول: إنه كلام واحدٌ»[2]. فالمعنى محصلة تفاعل عناصر النص فيما بينها، وهذا لا ينفي دور السياق في فهم النص، فنرى أنّه عنصر أساس من عناصر النص، وهذا التبني قد نخالف فيه من تبنى الاتجاهات الداخلية **(الباطنية)** فحسب، التي تعرف النص بالنظر إلى مكوناته، وكذلك نختلف مع من يتبنى ما يسمى بنظرية السياق الاتصالي التي يتحدد للنص من خلالها وظيفة معينة، وتتبنى النص من خلال سياقه الاتصالي فحسب بمعزل عن بنية النص الداخلية، إذ ترى

(1) م.ن: 321/4
(2) دلائل الاعجاز / 264.

أنّ النصوص ليست سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة، وأنّ وظيفتها إنّما هي الاتصال الاجتماعي[1]؛ لذا نرى أنّه لا يمكن الفصل بين عناصر النص ومكوناته الداخلية والسياق الخارجي للنص وملابساته، فللسياق دور مهم في فهم النص، فهو عنصر أساس يتواشج مع العناصر الداخلية للنص. وبناءً على ما ذكرناه سابقا سيكون أمام مسيرتنا في هذا المبحث مصطلحات منها: البؤرة، القوانين الرئيسة أو المهيمنة، والقوانين الثانوية التي لا يعدّ غيابها مخلاً في بناء النص ودلالته، غير أن هذا الحضور أو الغياب له أهميته في تحقيق التفاعل النصي، الذي بدوره سينعكس على تماسك النص وانسجامه. وربّما يفقد النص تبعاً لذلك هويته النصية، ومن ذلك ما نراه من جدل متجدد في هوية النصوص الأدبية شعراً ونثراً، غير أن اليقين الثابت في دراستنا انها تنأى عن تغيّر هويتها بوصفها تتعامل مع القرآن الكريم، مع اشارتنا لمحاولات عديدة للمساس بهويته اقتحاماً لهذه القوانين، ولعل ما قام به كل من مسيلمة الكذاب أو سجاح التميمية كان واحدة من تلك المحاولات التي سعت إلى اقتحام القرآن الكريم ومعارضته باقتحام قانون الفاصلة. فكلام مسيلمة الكذاب وما زعم أنه قرآن لا يعدو أن يكون اسجاعا حاول فيها أن يعارض القرآن الكريم، و«إنّما ننقل طرفاً منه ؛ ليتعجب القارئ وليتبصر الناظر، فإنّه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، وميدان الجهل واسع، ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم وآتاه من علم»[2]، من ذلك قول مسيلمة الكذاب: (والليل الأطخم والذئب الأدلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم)، وقد ذكر هذا الكلام في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه، وقال: (والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس)، وقال: (والشاء وألوانها وأعجبها السود وألبانها والشاة السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون)، وقال: (ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون)، وقال: (والمبديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما إهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوئوه)، وعندما التقت به سجاح بنت الحارث بن عقبان التميمية . وكانت تدعي النبوة

(1) ينظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د.سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط1، 1424هـ - 2004م/108.
(2) ينظر: اعجاز القرآن / 104 - 105

أيضا وان الوحي يأتيها فكانت تتنبأ ،. قالت له: ما أوحي إليك ؟ فقال مسيلمة: (ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى ما بين صفاق وحشا)، وقالت: فما بعد ذلك؟ قال: (إن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا إيلاجا ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا فينتجن لنا سخالا نتاجا)، فقالت: أشهد أنك نبي[1]. فضعف هذا الكلام واضح ولا يحتاج إلى تدبر، تذكر الروايات أنّ ابا بكر الصديق (ﷺ) عندما وفد عليه وفد اليمامة بعد حروب الردة طلب منهم أن يذكروا له جانباً من كلام مسيلمة، فلمّا سمعه قال لهم: (سبحان الله، ويحكم إن هذا الكلام لم يخرج عن ال)[2]، وفي رواية: (أين يذهب بكم عقلكم ما يخرج هذا عن ال)[3]. وقد ذكر الباقلاني من عيوب كلام مسيلمة في معرض حديثه عن الفاصلة، وتعريفه لها بقوله: «هي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة والأسجاع عيب؛ لأنّ السجع يتبعه المعنى والفواصل تابعة للمعاني، والسجع كقول مسيلمة»[4]، فكان مسيلمة يعمد إلى الاسجاع ثم يركب كلامه عليها، وكانت معارضته أشبه بمقطوعات، فلم يستطع أن يجاري القرآن الكريم وهو كلام الله المعجز. إنّ التفرد في النص القرآني يأتي من مغايرته لما هو شعر وما هو نثر، وهي معلومة غير جديدة لكننا نثبت بها التأكيد على أنّ محاولتنا دراسة القرآن الكريم من غير المساس بقدسيته، وهذا مصداق لما روته كتب الحديث من حوار دار بين أبي ذر الغفاري وأخيه أنيس **(رضي الله عنهما)**، قال ابو ذر (ﷺ): «...فقال أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث علي ثم جاء، فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون»[5]، وعلى اثر ذلك ذهب أبو ذر (ﷺ) إلى مكة فأعلن إسلامه بين يدي الرسول (ﷺ) ثم أسلم بعد ذلك أخوه انيس (ﷺ). ولعل من الجدير بالذكر أنه قد سبقت من القدماء إشارات ذات أهمية عرضت جوانب من فكرة دراستنا هذه جاءت في باكورة كتب النحو لدى سيبويه متمثلة في باب **(الاستقامة من الكلام والإحالة)**، فقسمه سيبويه على:

---

(1) ينظر: م.ن / 104 - 105
(2) سنن الترمذي /240
(3) سنن ابي داود /198
(4) اعجاز القرآن /87.
(5) صحيح مسلم / 962 ، وينظر: صحيح ابن حبان: 77/16، وفي مسند الإمام احمد: 174/5، (ما يلتام)

. المستقيم الحسن، كقولنا: **(اتيتك أمس وساتيك غدا)**.

. المستقيم الكذب، كقولنا: **(حملت الجبل)**

ـ المستقيم القبيح، وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه، كقولنا: **(قد زيداً رأيته)** و**(كي زيداً يأتيك)**

. المحال الكذب، كقولنا: **(سوف اشرب ماء البحر امس)**[1]

فهذا التقسيم يظهر العلاقة بن النحو وبقية القوانين الأخرى ولاسيما المعنى، وانها معايير لقبول النص أو رفضه. وكذا ما ذكره الجرجاني بقوله: «ينبغي أن تعلم أن المثَل الحقيقي، والتشبيه الذي هو الأوْلَى بأن يسمَّى تمثيلاً لبُعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجدُه لا يحصل لك إلاّ من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليّاً محضاً، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر، ألا ترَى إلى نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس]، كيف كثُرت الجُمل فيه؟ حتى إنك تَرَى في هذه الآية عَشْرَ جمل إذا فُصِّلت، وهي وإن كان قد دخل بعضُها في بَعْض حتى كأنها جملةٌ واحدة، فإن ذلك لا يمنعُ من أن تكون صُور الجمل معنا حاصلةً تشير إليها واحدةً واحدةً، ثم إنّ الشَبَه مُنْتَزع من مجموعها، من غير أن يمكن فَصْلُ بعضها عن بعض، وإفرادُ شطر من شطر، حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أيّ موضع كان، أخلَّ ذلك بالمغزى من التشبيه، ولا ينبغي أن تعدَّ الجُمل في هذا النحو بعَدِّ التشبيهات التي يُضَمّ بعضها إلى بعض، والأغْراض الكثيرة التي كل واحدٍ منها منفردٌ بنفسه، بل بعدّ جُمَلٍ تنسَق ثانية منها على أوَّلةٍ، وثالثةٌ على ثانية، وهكذا، فإنّ ما كان من هذا الجنس لم تترتّب فيه الجمل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب أن تكون هذه سابقةً وتلك تالية والثالثة بعدهما»[2]، فالجرجاني ينظر هنا إلى النص من زاوية علاقة النحو بالبلاغة، إذ إن هذا التشبيه المركب قد امتد على جمل كثيرة وقد تداخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، والتشبيه حصيلة منتزعة من مجموعها من غير فصل بعضها عن بعض، فتماسك النص وانسجامه متحصل من تفاعل هذه العناصر فيما بينها، فأسهم في بناء النص

(1) ينظر: الكتاب :220/1
(2) أسرار البلاغة: 108 - 109.

كثير من العناصر اللغوية الا ان بنية التشبيه كان لها الدور الفاعل والأساس ولاسيما انها قد هيمنت على هيكل النص وسيق النص بموجبها على وتيرة معينة، وربما كان وراء ذلك ما يتميز به هذا التصوير من تناسق وانسجام، فـ«التصوير القرآني حين ينتهي من تناسق الألوان والأجزاء في الصورة أو المشهد، وحين يطلق حولها الموسيقى المكملة للجو، لا ينتهي عند هذه الآفاق في تناسق الإخراج . إنّ هناك خطوة وراء هذا كله، ضرورية للتناسق، وضرورية لتأثير المشهد، وللكمال الفني فيه. تلك هي المدة المقررة لبقاء المشهد معروضاً على الأنظار في الخيال. والتناسق القرآني يلحظ هذا ويؤديه ارفع أداء. بعض هذه المشاهد يمر سريعاً خاطفاً، يكاد يخطف البصر لسرعته، ويكاد الخيال نفسه لا يلاحقه، وبعض المشاهد يطول ويطول، حتى ليخيل للفرد في بعض الأحيان انه لن يزول. وبعض هذه المشاهد الطويلة حافل بالحركة، وبعضها شاخص لا يريم. وكل أولئك يتم تحقيقا لغرض خاص في المشهد، يتسق مع الغرض العام للقران، ويتم التناسق في الاخراج ابدع التمام. وللقصر وسائل مختلفة، وللطول وسائل شتى، يؤدي كل منها الغرض، ويناسب جو المشهد. وهذه خطوة أخرى في ذلك الأفق الجديد»[1].لما كان سياق هذه الآية إثبات البعث وتخويف الكفار الذين كانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا ويرون أنها دار يرضى بها فاطمأنوا إليها فجاءت هذه الآية للتنفير منها وإظهار تعززهم بغير الحق، وتعد الأمثال أجلى لمحال الإشكال؛ لذا قال تعالى ممثلاً لمتاعها قاصراً أمرها على الفناء رداً عليهم في اعتقاد دوامها من غير بعث[2]. ففي هذه الآية صورة منتزعة من عدة صور فـ«ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر»[3]، وإنّما شبهت حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جثمانه وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته[4].أمّا علاقة هذه الآية بما قبلها وهي قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣ ﴾ [سورة يونس]، فإنها «منزلة منزلة البيان لجملة (مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ) المؤذنة بان تمتعهم بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة فبينت هذه الآية ان التمتع صائر إلى زوال، وأطنبت فشبهت هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع في نضارته ثم في

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف، (د.ط)، 1945م/107 - 108.
(2) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :432/3.
(3) المطول /539.
(4) ينظر: الكشاف /461.

مصيره إلى الحصد»[1]، واختلف المفسرون في **(انما)** فذهب أبو حيان إلى أنّها في هذا الموضع: «ليست للحصر، لا وضعا، ولا استعمالا ؛ لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالاً غير هذا، والمثل هنا، يحتمل أن يراد به الصفة، وان يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالأول»[2]، أمّا ابن عاشور فيرى أنّ «صيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه وسرعة الانقضاء ولتنزيل السامعين منزلة من يحسب دوام الحياة الدنيا ؛ لأن حالهم في الانكباب على نعيم الدنيا كحال من يحسب دوامه وينكر ان يكون له انقضاء سريع ومفاجئ، والمعنى: قصر حالة الحياة الدنيا على مشابهة حالة النبات الموصوف، فالقصر قصر قلب، بني على تنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد عكس تلك الحالة»[3].والتشبيه في هذه الآية تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة، فعبر عن ذلك بلفظ **(مثل)** الذي شاع في التشبيه المركب، ومن بديع هذا التشبيه تضمنه تشبيهات مفرقة في أطوار الحالين المتشابهين فيصلح كل جزء من هذا التشبيه المركب لتشبيه جزء من الحالين المتشابهين ؛ وذلك أطنب وصف الحالين من ابتدائه[4]. ويمكن تفصيل هذه التشبيهات بما يأتي:

1. **(كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ)** وفيها أقوال منها: ان الظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بماء فيما يكون به، ويترتب عليه من الانتفاع والانقطاع . وقيل: شبهت الحياة الدنيا بالنبات على تلك الأوصاف فيكون التقدير: كنبات ماء، فحذف المضاف، وقيل: شبهت الحياة بحياة مقدرة على هذه الأوصاف فيكون التقدير: كحياة قوم بماء أنزلناه من السماء ويقوي هذا القول قوله تعالى: **(وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ)**.
2. **(فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ)** شبهت حال الدنيا في سرعة انقضائها وزوال نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته[5].

ومن الاستعارات في هذه الآية قوله تعالى: **(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا)** ففيها استعارة مكنية اذ جعلت الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النبات كالعروس التي أخذت من أنواع الزينة والثياب فتزينت بها . فاشترك في هذه الآية أكثر من أسلوب بلاغي فضلاً عن ذلك ورد فيها

(1) التحرير والتنوير: 141/11.
(2) البحر المحيط: 144/5.
(3) التحرير والتنوير: 141/11.
(4) ينظر: م.ن: 141/11.
(5) ينظر: الكشاف /461، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 433/3، والتحرير والتنوير: 142/11.

جمل عدة ولو تأملنا استعمال أنواع الجمل في هذه الآية وذلك حسب التوزيع الذي سنبينه نجد أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ جملة اسمية استعمل فيها أسلوب القصر الذي استعمل اما للتأكيد أو للوصف كما بينا سابقاً، وكما هو معروف ان الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت والاستمرار، فكان ظن الكفار أنّها حياة دائمة مناسبة لهذا الاستعمال، إمّا بقية الجمل فاستعملت في اغلبها فعلية ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾، وذلك للدلالة على التغير والحدوث، إذ إنّ القرآن الكريم صور فيها النبات ونموه ثم تزين الأرض به وبعد ذلك ذهابه وجعله حصيداً فكذا حال الدنيا التي يسعى إليها الإنسان محاولاً جعلها الغاية، ومع ذلك فقد وقعت هذه الجمل في موضع حال أو صفة[1].

وكذلك يعدّ قانون استقامة النحو مؤشراً مهماً على صحة الجملة وتبعاً لذلك ترفض الجملة أو تقبل، وقد يتجاوز قانون استقامة النحو صحة الجملة ليكون محركاً أساساً ومعياراً في بنية النص، فقد توزع بقية العناصر المكونة للنص على ضوئه وبمقتضاه تتحدد دلالة النص والمعاني المستنبطة، وقد تنبه لهذا عدد من الباحثين وسعوا إلى وضع ما يعرف بنحو النص ومن هؤلاء سموئيل ليفن الذي اطلق عليه مصطلح الازدواج[2]، وياكبسون الذي يرى أن ما يميز الشعر عن النثر هو ان الوزن العروضي في الشعر يفرض هيمنته على التركيب ليحقق جنس النص الشعري، ويظهر انسجامه من انتقال النص من ميدان الشعر إلى النثر الذي يحتفظ بهيمنة التركيب وينسحب فيه الوزن إذ يعدّ التركيب في النثر المحرك الأساس للنص وعلى ضوئه يتم توزيع بقية العناصر[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [سورة المسد]، فنجد أن العدول النحوي قد حقق معنى دلالياً، يبدو واضحاً في نصب (حَمَّالَةَ)، ورفعها، فالمعنى الدلالي في الجملتين يصل في النهاية إلى تصور واضح عن حقيقة تلك المرأة التي تحمل الحطب وذلك بحذف الحركة الاعرابية من (حَمَّالَةَ)، فلو قرأنا الجملة مجردة من علامات الاعراب فلا نخرج بقيمة تمييزية ولكان معنى الجملة نفسه مكررا، أمّا

(1) ينظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه :323/3.
(2) ينظر: البنيات اللسانية في الشعر / 45
(3) ينظر: قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1988م/108.

القراءة النحوية التي تقوم على امكانية نصب (حَمَّالَةَ) أو رفعها محققة القراءة الافقية فإنها تحقق اتساعا دلاليا في المعنى يتأتى من التركيب النحوي الذي يقوم على التغاير الاعرابي للفظة (حَمَّالَةَ) فالقراءة على النصب هي التي اعطت للنص اتساعا دلاليا وتكثيفا للمعنى فوجه النحاة نصبها على المفعولية باضمار فعل تقديره (اذم)[1]، وهذا التقدير قد أعطى للتركيب دلالة التجدد والحدوث التي تنسجم مع حقيقة الحادثة إذ تشير الروايات إلى أن ام جميل كان ديدنها حمل الحطب ووضعه على طريق الرسول (ﷺ)، وكانت تفعل ذلك باستمرار[2]. فضلا عن دلالة الذم التي أضافها النصب والتي لا نجدها في الرفع، إذ يقتصر على الدلالة الأولى وهو الثبوت والاستمرار على الحدث لان من رفع جعله خبر الابتداء[3]. ومن ذلك أيضا قانون صحة المعنى وهو قانون أشار إليه جون لاينز في كتابه: (**اللغة والمعنى والسياق**)، وذكر أن التركيب النحوي قد لا يكون مؤشرا على صحة الجملة فقد تكون جملة سليمة التركيب لكن لا معنى فيها ومن هنا ترفض وان كانت قد أخذت بقانون صحة التركيب، وكان قانون صحة معنى الجملة هو المعيار الأساس والمحرك لصحة الجملة[4]. وقد سبق سيبويه جون لينز إلى ذلك فذكر في باب اسماه (**الاستقامة من الكلام والإحالة**) أن من الكلام ما يكون (**المحال الكذب**)، كقولنا: (**سوف اشرب ماء البحر امس**)[5]، ومن الأمثلة على قانون صحة المعنى قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة غافر] وردت هذه الآية ضمن مجازات أبي عبيدة الذي خرجها على أنها مجاز قرآني سببه مجيء لفظة (طِفۡلٗا) في موضع (**اطفالا**)[6]، أمّا ابن جني في خصائصه فقد تحدث عنها ضمن افراد الجمع وجمع المفرد وتثنيته، وقد عدّها من ضروب الحمل على المعنى[7]، إذ نجد أن الآية السابقة لم يكن قانون استقامة النحو فيها هو المحدد الأساس لدلالتها بل كان المعنى المفهوم من السياق غالبا على التركيب مع صحته فحدث العدول على مستوى المعن متجاوزا بذلك دلالة التركيب، فلو قارنا بين الآية و(**يخرجكم اطفالا**)

(1) ينظر: الحجة في القراءات السبع /377.
(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 322/8.
(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع /377
(4) ينظر: اللغة والمعنى والسياق /112 - 113
(5) ينظر: كتاب سيبويه :178/1
(6) ينظر: مجاز القرآن /132
(7) ينظر: الخصائص: 419/2

ورمزنا للمستوى النحوي بالسهم (←) الذي مثل المستوى الافقي، ورمزنا للمعنى بالسهم (↑) الذي مثل المحور العمودي

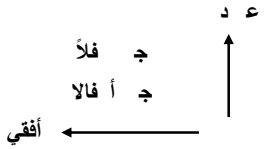

نجد أن المستوى الافقي . القراءة النحوية . لم تظهر أي تغيير في رتبة الجملتين واعرابهما فـ**(طفلا)** و**(اطفالا)** لم يتغير موقعهما من الجملتين إذ وقعتا حالا. ومن ثم لم تعد القراءة الافقية ملمحا في الإشارة إلى التمايز بين الجملتين فكانتا متساويتين. أمّا القراءة العمودية فقد أظهرت فارقا بين الجملتين فدلالتهما تغيرت بتغاير **(طفلا)** و**(اطفالا)** فمثلت القراءة العمودية ملمحا مهما في اظهار التمايز؛ ومن هنا كانت محركا أساسا في اعطاء الجملتين هويتهما.

وقد يحدث بين التركيب النحوي والمعنى تجاذب في النص مما يؤثر في فهمه،، كما أشار إليه ابن جني في باب اسماه **(باب في تجاذُب المعاني والإعراب)**، إذ يرى أن المتلقي يجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذِبين، فهذا يدعوه إلى أمر وهذا يمنعه منه . ويرى أنّه متى اعتورا كلاما ما وجب الامساك بعُرْوة المعنى والارتياح لتصحيح الإعراب، ومِن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾ [سورة الطارق]، فمعنى هذا: إنّه على رَجْعه يوم تُبلى السرائر لقادر فإن حملته في الاعراب على هذا كان خطأ لفصلك بين الظرف الذي هو ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ﴾ وبين ما هو معلَّق به مِن المصدر الذي هو الرَجْع، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبيّ أمر لا يجوز . فإذا كان المعنى مقتِضيا له والإعراب مانعا منه احتلت له بأن تضمر ناصبا يتناول الظرف ويكون المصدر الملفوظ به دَّالا على ذلك الفعل حتى كأنه قال فيما بعد: **(يَرجعه يوم تُبلى السرائر)**. ودلَّ **(رجعه)** على **(يرجعه)** دلالة المصدر على فعله. ومن ذلك ايضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ ﴾ [سورة غافر] فـ**(إذ)** هذه في المعنى متعلِّقة بنفس قوله: لمقتُ الله أي يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفرِكم أكبر من مقتكم أنفسكم الآن إلا أنك إن حملت الأمر على هذا كان فيه الفصل بين الصلة التي هي إذ وبين الموصول الذي هو لمقت الله . فإذا كان المعنى عليه ومَنَع جانبُ الإعْراب منه أضمرت ناصبا يتناول الظرف ويدلّ المصدر عليه حتى كأنّه قال بِأخرة: مَقتكم إذ تدعون. وإذا جازت دلالة المصدر على فعله والفعلِ على مصدره كانت دلالة الفعل على الفعل الذي هو مثله أدنى

إلى الجواز وأقرب مأخذا في الاستعمال[1]. وأصل هذا الباب عند ابن جني قول الله . عزّ وجلّ . ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]. فقولك إذًا: هذا رجل دنِف . بكسر النون . أقوى إعرابا لأنه هو الصفة المحضة غير المتجوّزة. وقولك: رجل دَنَف أقوى معنى لما ذكرناه: من كونه كأنه مخلوق من ذلك الفعل . وهذا معنى لا تجده ولا تتمكن منه مع الصفة الصريحة. فهذا وجه تجاذب الإعراب والمعنى فاعرفه وأمِض الحكم فيه على أيّ الأمرين شئت[2].كما أشار إليه أبو عبيدة في كتابه **(مجاز القرآن)** عندما ربط النحو بالأساليب والتراكيب والنحو بالمعنى، فسعى إلى تأكيد صواب العبارة القرآنية انطلاقا من هذا الأساس ليكشف عن الدلالة الدقيقة لصيغ القرآن الكريم[3]، من ذلك انه وقف عند قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف] ليقول: نصبها جميعا على اعمال الفعل فيهما، أي: هدى فريقا، ثم اشرك الآخر المشترك بنصب ما قبله على الجوار، والعرب تدخل الآخر المشترك بنصب ما قبله على الجوار وإن لم يكن في معناه، من هنا نجد أن الفيصل في هذه الآية هو المعنى مع أن التركيب النحوي قد نحى منحى آخر[4]. ومن ذلك ايضا قانون الوقف والابتداء إذ إنّه يسهم في تحديد المعنى فضلا عن استقامة النحو، فقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء] لا يكون فيه إلاّ قراءة واحدة وهي اتمام الكلام والوقوف على **(مَرَحًا ۖ)** فلا يجوز الوقوف على **(وَلَا تَمْشِ)**، إذ إن هذا يفسد المعنى ولا يفسد التركيب النحوي فدلالة النهي تقع على المشي المطلق وهذا يستحيل، ولا يجوز الوقوف على **(فِى ٱلْأَرْضِ)** فقيد نهي المشي في الأرض فحسب، وهذا يستحيل أيضا، أمّا الوقف على **(مَرَحًا ۖ)** فان فهم النص يتغير فيكون الكلام مستقيما من جهة التركيب والمعنى على حد سواء[5].

من هنا كان لدلالة الجمل فضلاً عن العناصر البلاغية والعناصر الصوتية أهمية كبيرة في تماسك النص وانسجامه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ

(1) ينظر: الخصائص: 3/260 - 267.
(2) ينظر: الخصائص: 3/260 - 267.
(3) ينظر: النقد والاعجاز /87.
(4) ينظر: مجاز القرآن /47
(5) ينظر: مجاز القران /50

﴿مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل] فسورة الفيل بلغ عدد آياتها خمس آيات الا ان جملها جاءت ست جمل فعلية وكان للفاصلة دور كبير إذ استمرت منذ أول السورة وحتى نهايتها[1].

ولإبراز دور التفاعل النصي في انسجام النص سنتخذ من سورة التكوير أنموذجاً لذلك التفاعل كذلك سنتخذ جانبا من التفاعل النصي بين سورة التكوير وسورة الانفطار بوصفهما وحدتين نصيتين متماسكتين اظهرتا جانبا مهما من الانسجام الدلالي والصوتي والتركيبي فضلا عن تضامهما وارتباطهما من جوانب عدة وهذا ما سيظهره التحليل النصي، فنحو النص يسعى إلى إقامة العلاقات النحوية والتركيبية والدلالية على مستوى النص أو عدة نصوص، ومن خلال مفهوم الاتساق الذي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده بوصفه نصا، ويمكن أن نسمي هذه العلاقات تبعية، ولاسيما عندما يستحيل تأول عنصر دن الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه، فيبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل عنصر آخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا، فلا يمكن فهم الثاني إلاّ بالرجوع إلى الأول وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق[2]، ومن هنا كانت التبعية والترابط في النص أو ما أطلق عليه الجرجاني **(النظم)** وهو تَعليقِ الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ وجعلِ بعضِها بسببٍ مِن بعضٍ[3] . محصلة تفاعل عناصر النص الداخلية، فإذا ما انضاف إليها تفاعل العناصر الخارجية فضلا عن الداخلية يتولد عنها الانسجام في النص، ولا يقف الانسجام على التفاعل بين العناصر الداخلية والخارجية، إنما يتولد أيضا عبر كسر هذا التفاعل داخليا كان أم خارجيا، فالنظرة إلى النص الشعري عل سبيل المثال في ضوء المنطق المعماري أن يأتي البيت مكتملا داخل سياجه، بمعنى أن يكون بناؤه مكتفيا بذاته، فتتطابق حدوده العروضية بحدوده التركيبية طبقا للاقتضاءات النحوية، وعندئذ يتساوق انسجام ثلاثي بين البنية المقطعية . وهي المتصلة بترتيب الكلام صرفيا ونحويا . والبنية فوق المقطعية . وهي المتصلة بالخصائص الأدائية . والبنية العروضية . وهي البنية المرتبطة بالدورة الايقاعية[4] . فالعلاقات الداخلية للنص المتمثلة بالوحدات الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية تعمل متأزرة على نحو متبادل، عندما يطبق

(1) ينظر: ((البناء النحوي في سورة الفيل))، عبدالله خليف خضير الحياني، مجلة التربية والعلم، مج 13، ع4، 2006م/32
(2) ينظر: لسانيات النص /15.
(3) ينظر: دلائل الاعجاز /46.
(4) ينظر: ((في جدل الحداثة الشعرية))، عبدالسلام المسدي، مجلة الاقلام، دار الشؤون الثقافية، العراق، ع 12، 1989م/40.

هذا الفهم على النص لا يصبح لأي مكون أو علاقة من مكونات النص أي معنى في ذاته بل يتحقق معناه من حيث علاقته بالمكونات الأخرى كلها[1]، وبما إن القرآن الكريم يمثل وحدة نصية متماسكة بآياته وسوره . وهذا ما جعل المفسرين يرون أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا . تمثل التقابل والترابط في الانسجام بين سوره وفي بناء النص القرآني ككل غير متناسين دور العناصر الخارجية.

التفاعل النصي في سورة التكوير

يسهم التفاعل النصي في انسجام النص وفي جوانب عدة ذلك أنّه يظهر عملية التلاقح والتضام بين مكونات النص وعناصره وعلى مستويات مختلفة منها الدلالي والتركيبي والصوتي والمعجمي والتداولي والتأويلي فضلاً عن القراءات القرآنية والفصل والوصل وغيرها من المستويات الأخرى. وقعت المناسبة في هذه السورة من خلال موضوعها، إذ تعالج هذه السورة قضيتين مهمتين تمثلت القضية الأولى في حقيقة القيامة وأهوالها. أمّا القضية الثانية فجاءت متمثلة بالوحي والرسالة. وهاتان القضيتان ترتبطان بكونهما من لوازم الايمان[2]. ومن الملاحظ على خطاب هاتين القضيتين أن ذكر القيامة قُدم على ذكر الوحي والرسالة وان كانا متقدمين في الترتيب الزمني على القيامة وأهوالها، وربّما كان هذا الترتيب في الخطاب سببه أن أمر الوحي والرسالة قد عاينه المشركون، أمّا القيامة وأهوالها فلم يعاينوه لذا قدم للعناية والاهتمام وتأكيد المصير في الآخرة ولإنذارهم بها، وقد يكون في التقديم أكثر من فائدة تعرف بالتأمل وطول النظر ولما كان الهدف من الخطاب هو لازم معناه فتساوت القضيتان في الأهمية في تأكيدهما الإيمان، إذ كان هو المحور الأساس والضمني للسورة، ومثّل بؤرة النص التي التقت فيه القضيتان فوقع التماسك والانسجام بينهما.فعلى المستوى النحوي والتركيبي تشكّلت السورة من انساق دلالية بنيت على أساس تركيبي، فتمثل النسق الأول بالآيات الممتدة من الآية الأولى وحتى الآية الرابعة عشر، ويمكن أن نطلق على هذا النسق نسق أسلوب الشرط، إذ تألف من فعل الشرط الذي امتد على آيات عدة وجوابه، فارتبطت الآيات القرآنية في هذا النسق بعضها ببعض عبر التركيب النحوي الذي تأسس عبره تواز تركيبي جاء معبراً عن تماسك الآيات وارتباطها، وقام هذا التوازي التركيبي على أساس نحوي:

---

(1) ينظر: ((اللغة الشعرية واللغة المعيارية))، مجلة فصول /38.
(2) ينظر: صفوة التفاسير، تفسير للقران العظيم جامع بين المأثور والمنقول، محمد علي الصابوني، دار الحديث، القاهرة، دار الصابوني، مصر، ط10، (د.ت) :3/ 509.

إذا + اسم + فعل + ت

فارتبطت هذه الآيات احداها بالأخرى مكونة بؤرة متماسكة، فضلاً عن ذلك وقعت هذه الآيات في مواقع متقابلة وأخرى متوازنة، في مواقع متقابلة في علاقتها البعدية بجواب الشرط وهو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [سورة التكوير] إذ إن هذه الآيات جميعها ارتبطت بجواب واحد، ووقعت هذه الآيات في مواقع متوازنة لأدائها الوظيفة النحوية نفسها، فضلاً عن التكرار الذي شكل عنصراً احالياً جمع الآيات جميعها بسلسلة ترتبط عناصرها بعضها ببعض، إذ تكررت (**إذا**) في أول كلّ آية، وتكررت (**التاء**) في نهاية كلّ آية، لتشكلا عنصراً مهماً يشير إلى بدء المتوالية ونهايتها، فأسهم التكرار في عملية الترابط النصي، فضلاً عن أسلوب الفصل والوصل الذي استعملت فيه (**الواو**) فجاءت (**الواو**) لتعبر عن ذلك الترابط الشكلي بين هذه الآيات ويتولد عن عدم ذكرها أن لا تكون الآية بنية أساسية في التوازي التركيبي إنّما يصبح عدم ذكرها مؤشراً لنهاية جمل فعل الشرط أو أن هذه الآية أو تلك هي بنية فرعية تابعة لإحدى متواليات التوازي التركيبي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير]، إذ يمثّل عدم ذكر (**إذا**) و(**الواو**) مؤشراً على أن هذه البنية هي بنية فرعية وليست رئيسة في بنية فعل الشرط وهي مرتبطة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ [سورة التكوير].

وكذا أسهم التقديم والتأخير في الانسجام التركيبي والصوتي للنص فضلاً عن دوره في اقامة التوازي التركيبي الذي نتج عنه التماثل في بنية فعل الشرط، فقدم نائب الفاعل على الفعل في بنية جمل فعل الشرط جميعها، فعلى سبيل المثال قُدم ما كان أصله نائب الفاعل (**ٱلشَّمْسُ**) على الفعل (**كُوِّرَتْ**) في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [سورة التكوير] وكذا في بقية الآيات فولد بذلك تماثلاً تركيبياً وصوتياً إذ أسهم التقديم والتأخير في الحفاظ على الفاصلة. أمّا الجانب الاعرابي فوقع الاختلاف بين النحاة في أن (**إذا**) من الأدوات المختصة بالأفعال، وهنا وليها الاسم، فذهب البصريون إلى أن (**ٱلشَّمْسُ**) وما شاكلها من استعمال في أمثال هذا التركيب نائب فاعل لفعل محذوف تقديره: (**كُوِّرَتْ**) يفسره الفعل المذكور بعده، أمّا نائب الفاعل في الفعل المذكور (**كُوِّرَتْ**) فضمير مستتر يفسره المذكور قبله وتقديره: (**هي**) يعود على (**الشمس**)، وجاء هذا الاستعمال على نية التوكيد. أما الكوفيون فيرون أن (**ٱلشَّمْسُ**) نائب فاعل مقدم على فعله (**كُوِّرَتْ**)، فاجازوا تقديم نائب الفاعل على فعله. أمّا الاخفش فيرى أن (**ٱلشَّمْسُ**) مبتدأ وخبره الجملة

الفعلية (كُوِّرَتْ) ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: (هي) فأجاز الاخفش دخول هذه الأدوات على الجملة الاسمية . وكذا ينطبق الكلام نفسه على بقية الجمل في جمل فعل الشرط[1].

فأسهم التماثل في التركيب النحوي في الانسجام الصوتي ولاسيما الفاصلة، فجاءت مقاطع هذا النسق متساوية من حيث عدد الكلمات مقطعاً مقطعاً، وكذا وقع التساوي أو التشابه في أول القرائن وفي نهاياتها فتمثل التساوي والتطابق في أول الآيات بتكرار (إذا) وتمثل التساوي والتطابق في تكرار (التاء)، والالتزام باستعمال الفعل الماضي المبني للمعلوم، فالتساوي قانون من قوانين الإيقاع ظله الجمالي يتمثل بتوافر الوحدة للنص، أو اثارة التوقع في المتلقي .كما وقع الانسجام الصوتي في تكرار الفاصلة على طوال النسق، فضلاً عن التساوي في الطول أو عدد الكلمات، كما نلحظ التشابه في بنية التراكيب فضلاً عن قانون (النظام) أو وحدة الروي في الفواصل جميعها إلاّ ما حدث من تغيير في بنية ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾، فقوانين الإيقاع كالتساوي والنظام والتغيير تلتقي على صعيد واحد لتتضافر على اطلاق جمال الفواصل[2].

كما أسهمت القراءات القرآنية في الاتساع الدلالي للنص وذلك لما تحمله من دلالات مختلفة كان لها أثرها في فهم النص وتأويله، وكل ذلك غير مخل بوحدة النص وتماسكه أو حتى انسجامه، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [سورة التكوير] قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب (بظنين) بالظاء، والوجه فيها ان (الظنين) بمعنى (المتهم) والظانة التهمة، فيقال ظننته أي اتهمته ؛ وبذا يكون معنى الآية: (وما هو على الغيب بمتهم بل هو الثقة) فيما يخبره عن الله تعالى[3]، وقرأ الباقون (بضنين) بالضاد، والوجه فيه أن الضن هو البخل، والضنين البخيل، فمعنى الآية أن الرسول (ﷺ) يخبر بالغيب، ولا يكتمه، فهو لا يبخل بالوحي فيذكر بعضه ويكتم بعضه، أو يسأل تعليمه فلا يعلمه[4]. فأسهمت القراءات القرآنية في اتساع دلالة النص بما لا يمس وحدته بخلل، بل انه بقي محافظاً على انسجامه. يعدّ الحذف من مؤشرات التفاعل النصي كما أنّه استثمر في الانسجام بوصفه من مؤشرات الترابط والتماسك في النص فضلا عن الإيجاز ؛ لذا جاء الحذف في سورة التكوير لإثراء النص دلالة، إذ أسهم في اتساقه وانسجامه ولم يخل بالمعنى العام للنص أو بوحدته بل نجد خلاف ذلك إذ أعطى الحذف النص بعداً دلالياً

(1) ينظر: شرح ابن عقيل: 59/3
(2) ينظر: الفاصلة في القرآن / 264 - 267.
(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 542/2، والكشاف/1184.
(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 542/2، والكشاف/ 1184، ومعجم القراءات القرآنية: 113/4

عبر فسحه المجال أمام المتلقي لتأويلات عدة تصب في اثراء النص، فالحذف يثير المتلقي ويشد انتباهه إلى البحث عن المحذوف ومحاولة إيجاد ترابطات النص من خلاله، وبذا يؤثر الحذف في فهم المتلقي ذلك أن تقدير المحذوف قد يخضع للاعراب أو قد يخضع للمعنى فضلاً عن قرائن أخرى . ومن ذلك ما وقع من حذف في سورة التكوير حذف المفعول في قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة التكوير]، فالحذف ولد بعداً دلالياً سمح بتنوع المفعول ؛ لأنّه لو ذكر لتقيد بدلالة خاصة قد لا تستوفي أفراده، أمّا الحذف فجاء ليعبر عن الانسجام الصوتي إذ إنّه أسهم في المحافظة على مماثلتها مع فاصلة النسق وهي: **(التاء)** وكان تقدير الكلام **(احضرته)** ومن ثم مثّلت **(الهاء)** احالة مقامية تحيل إلى خارج النص وهي تقع على أنواع شتى ممّا يقدمه الإنسان من أعمال وغيرها. وكذا أسهمت الأساليب البلاغية في التفاعل النصي داخل النص، فضلاً عن انسجامه فورد في السورة أكثر من أسلوب ومن ذلك الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة التكوير] فشبه اقبال النهار وسطوع الضياء بسمات الهواء العليل التي تحيي القلب، واستعير لفظ التنفس لاقبال النهار بعد الظلام الدامس، وهذا من لطيف الاستعارة وابلغها تصويرا إذ عبر عنه بتنفس الصبح[1]، وهذا بدوره ولّد تناقضا ضمنيا . على مستوى البنية العميقة . بين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ جعلهما لا يشتركان على صعيد واحد وان اشتركا في نسق واحد فاقبال ضياء النهار أزال ظلمة الليل، فضلا عن ذلك صورت السورة اختلاط أول الضوء بظلمة الليل واستعملت ألفاظا خاصة لذلك تنم عن جرس أسهم في الايقاع العام للسورة فحرف السين من حروف الصفير، فضلاً عن ذلك نجد المناسبة في تقديم ذكر الليل على ذكر النهار إذ إن المتعارف عليه عند الناس أن الظلمة هي الأصل ثم يأتي الضياء بعد ذلك، قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الرعد].

وكان لفنون البديع أثرها في التفاعل النصي فنجد الجناس الناقص بين (بِٱلْخُنَّسِ) و (ٱلْكُنَّسِ)،

(1) ينظر: صفوة التفاسير: 512/3.

والجناس غير التام في الطباق بين (مَكِينٍ) و(أَمِينٍ)، والطباق بين (ٱلْجَحِيمُ) و(ٱلْجَنَّةُ)[1]. فأسهمت هذه الاساليب في نظم ثنائيات نصية قائمة على التقابل الذي بدوره انعكس على تماسك النص واتساقه، إذ ولدت هذه الاساليب علاقات ترابطية قائمة على الازدواج ومن ثم ينظر إليه على انه من مؤشرات التعالق النصي.

التفاعل النصي بين سورتي التكوير والانفطار

نظراً لأهمية العلاقة بين السور القرآنية وترابطها شكّل ذلك ملمحاً مهماً من ملاحم الانسجام النصي في القرآن الكريم؛ لذا قبل أن نخوض في التحليل النصي لسورتي التكوير والانفطار وجب علينا أن نذكر العلاقة بين سورة التكوير والسورة التي قبلها وهي سورة (**عبس**)، إذ يرى السيوطي أن وجه التناسب بينهما وهي ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر في عبس ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة عبس] ذكر في سورة التكوير يوم القيامة كأنه رأى عين[2] . فسور القرآن مرتبط بعضها ببعض وآخذ بعضها باعناق بعض، فسورة عبس لما ختمت بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من تذكرة، ابتدأت سورة التكوير باتمام ذلك فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت كأنه رأى العين[3]. ومصداق ذلك ما روي عن ابن عمر (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة رأى العين فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ [سورة التكوير] . فسورة التكوير تصور ما يحل في ذلك اليوم وكأن المتلقي يشاهد تلك الأمور تحدث أمامه.قبل الخوض في التفاعل النصي بين سورتي التكوير والانفطار تؤكد هذه الدراسة أنّها لا تسعى إلى إقامة موازنة بقدر ما تسعى إلى الكشف عن ذلك الترابط والتماسك بين السور للوصول إلى ملاحظة الانسجام ولا يخفى على المطلع على سورتي التكوير والانفطار الترابط بينهما، ذلك أنّهما اعتمدتا أسلوباً واحداً أو انهما تآختا في المقطع حسب عبارة السيوطي[4]. فضلاً عن ذلك ان السورتين مكيتان، وان العلاقة بينهما اتخذت أكثر من جانب، إذ تماثلت السورتان كثيراً ولاسيما في بنيتهما الدلالية والتركيبية، فضلاً عن المستوى الصوتي المتمثل بالفاصلة.أمّا على المستوى الدلالي فلما ختمت سورة التكوير بأنّه لا يخرج عن مشيئة

(1) ينظر: صفوة التفاسير :512/3.
(2) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور: 77
(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 335/8.
(4) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور: 78

الله انه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له فافتتحت سورة الانفطار بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لا بدّ من نقض الله سبحانه وتعالى لهذا العالم واخرابه ليحاسب الناس فيجزي كلا منهم . المحسن والمسيء . بما عمل[1]. فولّد التماسك الدلالي بين هاتين السورتين انسجاما دلاليا يؤكد لحمة النص وتماسكه وجودة سبكه.فالتماثل الدلالي بين هاتين السورتين بدا واضحاً عبر ما يمكن أن نسميه الحقول الدلالية فما كان أصله نائب فاعل في هاتين السورتين في **(الشرط وجوابه)** ينتمي إلى حقول دلالية متقاربة في علاقتها بالكون وما يحيط بنا **(ٱلشَّمۡسُ ،ٱلنُّجُومُ ، ٱلۡجِبَالُ ، ٱلۡبِحَارُ ،ٱلسَّمَآءُ ، ٱلۡكَوَاكِبُ)**، و **(ٱلنُّفُوسُ ،ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ ،ٱلۡقُبُورُ)**، و **(ٱلۡعِشَارُ ،ٱلۡوُحُوشُ)**، و **(ٱلصُّحُفُ ،ٱلۡجَحِيمُ ،ٱلۡجَنَّةُ)** فنجد ترابطا نصيا ما بين هذه الكلمات تكاد جميعها تنتمي إلى حقل دلالي واحد يلتقي فيه الإنسان بالكون، محققا مفردات حياته كاملة بدءاً من الخليقة مروراً بالحياة سماءً وأرضاً وصولاً إلى الآخرة نعيماً أو جحيماً. فالمناسبة بين القبور والموءودة واضحة الموءودة دالة اجتماعية ارتبطت بوأد الفتيات وهي بذلك تستحضر دالة القبر **(اقتران مكاني بين الموءودة والقبر)**، كما أن النفوس جميعها يصير القبر مثواها بعد موتها، وإن كانت تشير في هذا الموضع إلى دلالة أخرى، وذلك عبر الفعل الواقع بعدها: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [سورة التكوير] فيمكن فهم **(زُوِّجَتۡ)** بمفاهيم عدة وبذلك اختلفت الإحالة في هذه اللفظة مما أعطى النص أبعاداً دلالية، فقد تعني أن **(ٱلنُّفُوسُ)** أصبحت ازواجا ازواجا أي النفوس المؤمنة مع النفوس المؤمنة والنفوس الكافرة مع النفوس الكافرة[2]، وقد تكون **(زُوِّجَتۡ)** بهذا إحالة إلى **(القرين)** قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١﴾ [سورة الصافات]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦﴾ [سورة الزخرف] ففي يوم القيامة يتبرأ الإنسان من جميع من يعرفهم ويفتدي بهم من النار محاولة منه للنجاة منها، قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾ [سورة المعارج]، وقد تكون اللفظة إحالة إلى ما روي عن أنس بن مالك: أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) متى الساعة يا رسول الله ؟ قال: **(ما أعددت لها)** . قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله. قال: **(أنت مع من أحببت)**، أو قد تكون احالة إلى ما ارتبط بالفكر الإسلامي من معنى

(1) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 47/8.
(2) ينظر: معالم التنزيل /716

ان اللذين كانا متقاربين ومتحابين في الدنيا يحشران سوية في الأرض يوضعان في قبر واحد وهذا ما حدث بعد معركة بدر إذ جمع الرسول (ﷺ) بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن حرام والد جابر وعمرو بن الجموح ؛ لأنهما كانا متصاحبين **(رضي الله عنهما)**[1]، وربّما كانت دلالة الزوجين ما تحمله من معنى اجتماعي، وهي الزوجة قال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء] . فهذه الدلالات كثيرة ومنوعة ومما يلاحظ على الدلالة الاجتماعية ان النفوس تزوج وهذا أمر طبيعي فما السر وراء استعمال **(ٱلنُّفُوسُ)** مع **(زُوِّجَتۡ)** ومن خلال هذا ذهب المفسرون إلى تأويل **(زُوِّجَتۡ)** تأويلات عدة كما رأينا سابقا بما يسمح به النص وسياقه، وهذا كله من الاتساع الدلالي الذي سمح به النص القرآني بما لا يتعارض مع المعنى العام له. كما نجد الترابط الدلالي بين **(ٱلشَّمۡسُ ،ٱلنُّجُومُ ، ٱلۡجِبَالُ ، ٱلۡبِحَارُ ،ٱلسَّمَآءُ ، ٱلۡكَوَاكِبُ)**، إذ إنها من مفردات الكون، فوقع التناسب بينها من انتمائها إلى وحدة دلالية ترتبط اجزاؤها احدها بالآخر. وكذلك الترابط والتماثل في انتماء **(ٱلۡعِشَارُ)**، و **(ٱلۡوُحُوشُ)** إلى حقل دلالي واحد الا وهو الجامع المشترك الذي يجمعهما في مواقع متضامة وهو انتماؤهما إلى جنس واحد وهو **(الحيوان)**. وكذلك الترابط الدلالي بما مثلته **(ٱلصُّحُفُ) ،(ٱلۡجَحِيمُ)، (ٱلۡجَنَّةُ)** في المنظومة الاسلامية من حقل دلالي واحد فالصحف عندما تتطاير تحدد مصير الانسان إلى **(ٱلۡجَنَّةُ)**، أو الى **(ٱلۡجَحِيمُ)**، ومثلت لفظة (نفس) احالة إلى الانسان ومثلت لفظة **(ٱلصُّحُفُ)** إلى الكتاب قال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الحاقة]. وبذلك يتحدد مصير هذه النفس الجنة ام الجحيم بما يتلقاه المرء من صحف، فناسب ذلك وقوع **(نفس)** في جملة جواب الشرط، وهي قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ

(1) ينظر: سيرة الرسول، لابن كثير: 84/3.

﴿أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ أي حينئذ تعلم نفس مصيرها ومأواها. كما نجد دلالة التطابق أو التضاد في ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾، إذ اختلف في معنى (كُوِّرَتۡ) فقيل: لف بعضها على بعض، فانطمس نورها، أو حجبت بكاوة، أي لفت بها، أو ألقيت في البحر، وقيل: دخلت في العرش، أو اضمحلت، وقيل: نكست[1]، ومن المفسرين من فضّل التوقف على لفظ الآية، فقال الطبري فيها: «نقول كما قال الله تعالى (كُوِّرَتۡ)»[2]، فالطبري انطلق من نظرة اجتماعية مفادها أن الشمس مكورة الشكل وعلى هذا (كُوِّرَتۡ) حافظت على دلالتها، فالمظهر الطبيعي للشمس أنها مكورة؛ لذا حاول عدد من المفسرين أن يجعلوا للفظة (كُوِّرَتۡ) معان مغايرة عبر تأويلاتهم تلك.وبذا تمثلت ترابطات دلالية قائمة على أساس ديني واجتماعي ومعجمي وتداولي، فضلا عن ذلك تحقق التضام في هذا النسق على اساس دلالي فالجامع ما بين هذه المفردات قائم على أساس المناسبة واتصالها بحقول دلالية متقاربة ان لم تكن متطابقة.أمّا على المستوى التركيبي فالتزمت السورتان في أولهما بناءً نحوياً شكّل توازياً تركيبياً اعتمد على:

إذا + اسم مفرد + فعل ماضٍ + تاء التأنيث + علمت نفس ما + فعل ماضٍ + تاء التأنيث

فعل الـ + جواب الـ

فتكرر هذا التركيب الذي جاء في أول السورتين أكثر من مرة إلا ان حضوره في سورة التكوير كان على نطاق أوسع إذ جاء في اثنتي عشرة آية من الآية الأولى وحتى الآية الثانية عشرة من قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ وحتى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣﴾ أمّا في سورة الانفطار فشغل أربع آيات من الآية الأولى وحتى الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾ [سورة الانفطار]. ومن الملاحظ على هاتين السورتين أن جواب الشرط فيهما جاء متماثلا ففي سورة التكوير قال تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [سورة التكوير] وفي سورة الانفطار قال تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ [سورة الانفطار]، فبني جواب الشرط على التكرار الذي يعدّ رابطا نصيا عبر إحالة احدهما إلى الآخر فمع اختلاف عدد من الألفاظ بينهما . (أَحۡضَرَتۡ)، (قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ) . إلا أن

(1) ينظر: اضواء البيان: 556/5.
(2) ينظر: تفسير جامع البيان: 132/5

الدلالة الالتزامية واحدة والمعنى واحد والله اعلم، فالذي تحضره كل نفس هو الذي قدمت من عملها وأخرت، الا ان في كلّ واحد من هذين اللفظين وضع خاص بما يناسبه من السورة ففي سورة التكوير لما انحصر فيها وفيما قبلها من أول قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ إلى آخر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ الأهوال المشاهدة من لدن ابتداء نفخة الصعق إلى انتهاء تلك المقامات بتسعير الجحيم وازلاف الجنة، وهو عبارة عن ادنائها لداخلها، وجيء بتلك الأخبار منسوقة بـ(**الواو**) المقتضية الجمع حتى كأن تلك المقامات قد عبر عنها بلفظ واحد وتحصلت حاضرة للتصور الذهني، فناسب ذلك تقرير الأعمال المترتب عليها الجزاء حاضرة والتعبير عنها بما يحصل ذلك، فقال تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ [سورة التكوير]، وكأنّه قد قيل: إذا أحضرت هذه الأهوال مدركة للعيان حضرت أعمالكم بالتذكير لها ومطالعتها محصورة في الصحف. أمّا قوله تعالى ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ [سورة الانفطار]، فلما كان قوله تعالى ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ غير مفصح باستيفاء أعمال الخلائق جيء بهذه الآية بعدها مشيرة إلى الحصر بما أشير إليه من ضبط طرفي أعمال المكلفين، واقتضى التناسب تقدم الاحضار حيث ذكر، وتأخير ذكر التقديم والتأخير حيث ذكر، فجاءت الآيتان على أتم الملاءمة والمناسبة وروعي ترتيب الآيات في ذلك فقدم ذكر الاحضار أولاً ليناسب به ما تقدم، إذ إن سورة التكوير تضمنت الدلالة على الامتلاء والجمع (**كورت، حشرت، سجرت، سعرت، نشرت، زوجت**)، واخر ذكر احصائها ليعلم بالحصر والاستيفاء؛ إذ إنّ سورة الانفطار تضمنت الدلالة على التفريق والتفجير: (**انفطرت، بعثرت، فجرت، انتثرت**)، فجاء كل على ما يناسبه[1].

كما ان هناك تطابقاً في بنية جواب الشرط في السورتين ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا ۝٥﴾ ووقع الاختلاف في (**أَحۡضَرَتۡ**) و(**قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ**)، فاعتمد جواب الشرط في السورتين على تكرار ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ﴾ أمّا (**ما**) فموصولة وصلتها (**أحضرت**) و(**قدمت وأخرت**) والتقدير (**أحضرته**) و(**قدمته وأخرته**)[2]، وبذلك دخل التماثل بعدا آخر في الجملتين (**أَحۡضَرَتۡ**) و(**قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ**) وذلك بحذف المفعول فادى الحذف إلى تماثل الفاصلة في النسقين، وبذلك حافظت الفاصلة على حضورها وبقوة في بنية الشرط وجوابه في النسقين وعليه تشكّل تواز على مستوى التركيب والصوت فالفاصلة استمرت باستمرار التركيب النحوي فتشكل بذلك فاصلة لفعل الشرط وجوابه عملت على ترابطه وتماسكه

(1) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل وتوجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: 503/2 - 504.
(2) ينظر: ماءات القرآن /286، واعراب القرآن الكريم وبيانه :234/8، و243/8.

لا على مستوى اتساقه فحسب إنما تجاوزه إلى البنية الصوتية والشكلية وبذا تولد انسجام بين النسقين قائم على أساس التوازي التركيبي والصوتي، فتولد بذلك شبكة من الترابطات. كما نجد للتقديم والتأخير أثره في هذا الترابط والتماسك وان حدث هذا التقديم والتأخير على البنية الشكلية والتركيبية الا ان له أثره في الانسجام الصوتي للنسقين إذ حافظ تقديم الفاعل او نائب الفاعل في جمل فعل الشرط جميعها على الفاصلة في نهاية كلّ فعل: (كُوِّرَتْ ،انكَدَرَتْ ، سُيِّرَتْ ،عُطِّلَتْ ، حُشِرَتْ ، سُجِّرَتْ ،زُوِّجَتْ، سُئِلَتْ ،قُتِلَتْ ، نُشِرَتْ ، كُشِطَتْ ، سُعِّرَتْ ، أُزْلِفَتْ)، و(انفَطَرَتْ، انْتَثَرَتْ، فُجِّرَتْ، بُعْثِرَتْ)، كما امتد استعمال الفعل الماضي المقترن بـ(تاء التأنيث) الذي استغرق فعل الشرط وجوابه في النسقين، (كُوِّرَتْ ،انكَدَرَتْ ، سُيِّرَتْ ،عُطِّلَتْ ، حُشِرَتْ ، سُجِّرَتْ ، زُوِّجَتْ، سُئِلَتْ ،قُتِلَتْ ، نُشِرَتْ ، كُشِطَتْ ، سُعِّرَتْ ، أُزْلِفَتْ ،عَلِمَتْ ، أَحْضَرَتْ)، و (انفَطَرَتْ ،انْتَثَرَتْ ،فُجِّرَتْ ،بُعْثِرَتْ ، عَلِمَتْ ،قَدَّمَتْ ،وَأَخَّرَتْ)، وامتد هذا التماثل ليشمل بنية الفعل فضلا عن صيغته، فالأفعال في فعل الشرط في النسقين جاءت جميعها مبنية للمفعول ما عدا (انكدرت) و (انفطرت) و (انتثرت) فهي افعال مطاوعة اسند الفعل اليها نحويا دلاليا أي كدرتها فانكدرت، وفطرتها فانفطرت، ونثرتها فانتثرت، وهذا يجعلها مشتقة من الافعال المبنية للمجهول في عدم ذكر الفاعل الدلالي، كما تقدم نائب الفاعل على الأفعال في النسقين في جمل فعل الشرط جميعها، وبذا حافظت السورة على انسجام الفاصلة، فضلا عن ذلك مثّلت (تاء التأنيث) رابطاً نصياً امتد على مدى النسقين في السورتين فتماثلت الفاصلة في النسقين، وعليه كان للفاصلة أثرها في انسجام النسقين على المستوى الصوتي. ولما بين فعل الشرط وجوابه من اتصال والمحافظة على حرف الفاصلة من بنية تركيبية وصوتية صارتا على خط متوازٍ ولم يحدث بينهما فجوة توتر، إذ امتدت الفاصلة على مدى التركيب النحوي للسورتين. وبذا جاء تغير الفاصلة ليؤذن بنهاية النسق وبدء نسق آخر، إذ يلحظ تغيرها بانتهاء الشرط في السورتين، فتغيرت الفاصلة في سورة التكوير بعد انتهاء جواب الشرط من التاء الى السين ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾، ومن التاء إلى الميم في سورة الانفطار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾، وهذا ما جعل ابا عمر الداني يشير إلى أن الوقف يكون على قول تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥ ﴾ فلا تمام للمعنى دونهما وإن أجاز الوقف على رؤوس

الآي بوصفه وقفاً كافياً فأعطى الأسبقية للتركيب النحوي[1]. وعليه دخل قانون آخر ضمن قوانين التماثل، وهو قانون الوقف والابتداء، وهو أيضا سار سيراً متوازياً مع بنية التركيب النحوي والفاصلة القرآنية، فلم تحدث فجوة توتر بين هذه المستويات الثلاثة بل جاءت محافظة على اتساقها وتماسكها

تركيب	⟵	اذا + فاعل + فعلت	+ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا +	فعلت
فاصلة	⟵	.....	ت	..... ت
وقف وابتداء	⟵	.....	*	..... *

فشكلت هذه المستويات توازياً امتد على طوال النسق الأول في السورتين ولم يحدث فيه تقاطع بينها. كما أسهم الاستبدال في انسجام النص إذ إنّه يشير في أساسه إلى «ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول»[2]. ومن شروط الاستبدال أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، فينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي نفسه[3]. وقد يقع الاستبدال في أكثر من سورة، فوقع الاستبدال بين سورتي التكوير والانفطار في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ ﴾ [سورة التكوير]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ ﴾ [سورة الانفطار]، فوقع الاستبدال على مستوى السورتين فاستبدلت لفظة **(سجرت)** بلفظة **(انفجرت)** أمّا **(سجرت)** فـ**(السين والجيم والراء)** اصول ثلاثة تدل على **(الملئ، والمخالطة، والايقاد)**[4]، و**(الفاء والجيم والراء)** أصل واحد يدل على التفتح في الشيء[5]؛ لذا حاول عدد من المفسرين تفسير **(سجرت)** و**(فجرت)** على أنّه ترادف ومنهم البغوي (ت516هـ)، والزمخشري (ت538هـ)، والخازن (ت725هـ)، إذ راوا ان **(سجرت)** بمعنى **(ملئت)**، فسجر التنور إذا ملأه بالحطب، أي إن البحار ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً[6]. أما **(فجرت)** فرأوا أنّها بمعنى أن البحار فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب منها بالمالح وزال البرزخ بينهما وصارت البحار بحراً واحداً[7]. ويبدو أن هذا الفهم قد يجانب الصواب، فالسياق الذي وردت فيه هاتان السورتان

(1) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء/378.
(2) ينظر: النص والخطاب والاجراء/300.
(3) ينظر: (الاستبدال ودوره ففي تماسك النص)، أ.ابراهيم محمد عبدالله مفتاح http://www.ta5atub.com /montada
(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة :587/1.
(5) ينظر: م.ن:342/2.
(6) ينظر: معالم التنزيل :451/4، والكشاف /1182، ولباب التأويل في معاني التنزيل :397/4.
(7) ينظر: معالم التنزيل :455/4، والكشاف /1185، ولباب التأويل في معاني التنزيل :401/4.

يحكم بفهم قد يغاير ما ذكر قليلا، فربّما كان الإمام أبو جعفر بن الزبير الغرناطي اقرب إلى الصحة في نظرته لهاتين الآيتين، إذ إنّه رفض تفسيرها على وفق مبدأ الترادف إنما انطلق في تفسيره لهما من معناهما اللغوي، إذ يرى أن كلا من الاخبارين يؤدي معنى غير المعنى الآخر، فالامتلاء غير الانفجار، ولما كانت العلاقة بينهما علاقة استبدالية قائمة على أساس التقابل والترابط والتماثل يرى ابن الزبير الغرناطي أن كلاً من الاخبارين مناط تفسيره بالآخر لما بينهما من الشبه؛ لذا جرى كلام أكثر المفسرين على تأويل كل واحد من اللفظين بما يتفق فيه اللفظان من معنى، والصواب انهما يقتضيان التباين لا الترادف، والاخبار بكل واحد منهما مقصود معتمد لكمال المراد . فخصت سورة التكوير بلفظ (سُجِّرَتْ) لتناسب السياق العام للنسق الأول فـ(كُوِّرَتْ، حُشِرَتْ، زُوِّجَتْ، سُعِّرَتْ)، فهذه الأفعال كلها تدل على اجتماع وائتلاف وعليه يناسب بعضها بعضا . أمّا سورة الانفطار فخصت بلفظ (فُجِّرَتْ) ليناسب مطلع السورة وافتتاحها، فالانفجار ناسب انشقاق السماء وانفطارها وبعثرة القبور وانتشار النجوم، فكلّ من الأفعال: (انفَطَرَتْ، انتَثَرَتْ، فُجِّرَتْ، بُعْثِرَتْ) ناسب بعضها بعضا في الدلالة على الانتشار، فالتحام الجمل في هاتين السورتين أبين التحاماً وأوضحه ملاءمة وتناسبا، فورد كل لفظ من ذلك على ما يجب ويناسب[1].

كما وقع الاستبدال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [سورة التكوير]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [سورة الانفطار]، فوقع الاستبدال بما يناسب السورة فالفعل (كشطت) ذهب المفسرون إلى انه بمعنى: التقشي، أو انها تطوى كطي السجل، أو انها ازيلت وكشفت، أو انها نزعت أو قلعت كما يقلع السقف، وقيل: الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام[2].أمّا الانفطار فذهب المفسرون إلى أنّه بمعنى الانشقاق، فانفطار السماء انشقاقها على غير نظام، والانفطار يدل على فتح شيء وابرازه[3]، وتتناسب هذه الدلالة مع المدلولات الأخرى في السورة فالجبال خرجت عما تعارف عليه الناس من أنّها ثابتة ؛ لذا أطلق عليها صفة الرواسي، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [سورة ق]، وكذا الأمر في بقية الآيات، أمّا قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾، فناسب استعمال

(1) ينظر: ملاك التأويل :503/2.
(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 446/2، ومعالم التنزيل: 452/4، ولباب التأويل في معاني التنزيل: 398/4
(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 446/2، ومعالم التنزيل: 455/4، ولباب التأويل في معاني التنزيل: 401/4

الفعل (**انفَطَرَتْ**) في سورة الانفطار استعمال الأفعال في النسق كلّه: (**انتَثَرَتْ، فُجِّرَتْ، بُعْثِرَتْ**) فدلت هذه الأفعال على الانتشار. كما أنّ هاتين الصورتين (**كشطت**) و(**انفطرت**) اللتين صورت بهما (**السماء**) تحيل احداهما إلى الأخرى، إذ تألفت صورة مركبة لما يحدث للسماء يوم القيامة فقد تكشط ثم تنفطر، وهذا لا ينفي حدوثهما معا على الترتيب الذي وقع في السورتين وليس هو من باب التناقض إنّما هو من باب التنويع. فجاءت هذه الصورة على أتم تماسك وترابط بينهما وحقق انسجامهما الدلالي.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية في رحاب دراسة قرآنية سجلنا جملة من النتائج، وهي:

- عني النص القرآني بالمتلقي لذا جاء انسجامه متوافقا مع استعمالات اللغة وسياقاتها وسيره على منوال العرب في التعبير غير ان ما يميزه من كلامهم براعة الأسلوب ودقة التعبير وإعجازه. وقام الانسجام في النص القرآني على وفق اطار اللغة ويخضع لإمكاناتها ويعتمد على تفاعلها واجتماعها في سياق واحد ويسهم التفاعل النصي في انسجام النص القرآني، فهو يعمل على إظهار التضام والتلاقح بين مكونات النص وعناصره وعلى مستويات مختلفة منها الدلالي والتركيبي والصوتي والمعجمي والتداولي والتأويلي فضلاً عن القراءات القرآنية وغيرها من المستويات الاخرى؛ لذا يمكن النظر إلى التفاعل النصي على أنّه الجانب الاجرائي للانسجام فالتفاعل النصي يضمن تلاحم بنية النص فضلا عن قيمة كلّ عنصر فيه بذاته، وهذا لا يمنع أن يؤدي ذلك إلى بروز قانون معين على حساب بقية القوانين تبعاً لطبيعة السياق وموضوع السورة ، وهذا يكسب النص بعدين جمالياً وبنائياً فضلا عن دور بقية العناصر التواصلية في انسجامه والمساهمة في ذلك التفاعل ليولد الانسجام الخارجي للنص والمتلقي على حد سواء ويكتسب الانسجام في النص القرآني من اتصاله بجميع العناصر النصية وغير النصية وايجاد شبكة من العلاقات قد تبدو بارزة على نسيجه أو قد تحمل المتلقي للبحث عنها فقد تكون خفية لا تظهر الا بشيء من البحث وذلك لشد انتباه المتلقي والتأثير فيه وجعله متلقيا ايجابيا يشعر بوجوده في النص في أثناء تلقيه.
- فشلت محاولات عدة لاقتحام النص القرآني ومعارضته وذلك لإعجازه وتفرده عما هو نثر وعمّا هو شعر فضلا عن قدسيته.
- تبقى الحاجة إلى قراءة النص مرة بعد أخرى للبحث عن دلالاته ومعانيه لما ينجلي أمام القارئ من جماليات ومعجزات تبقى أسيرة لدقة القراءة وبراعة التلقي.

- يعد الانسجام في النص القرآني مظهرا من مظاهر اعجازه إذ نزل القرآن الكريم منجماً تبعاً للأحداث والوقائع التي كانت تعرض للرسول (ﷺ) والصحابة، فكان القرآن الكريم نصاً منسجماً متماسكاً تأخذ آياته بعضها برقاب بعض.

المصادر والمراجع:

(الاستبدال ودوره ففي تماسك النص)، أ.ابراهيم محمد عبدالله مفتاح
http://www.ta5atub.com /montada

أسرار البلاغة، الإمام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت471هـ)، قرأه وعلق عليه : ابو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مطبعة المدني . القاهرة، دار المدني . جدة، ط1، 1412هـ . 1991م

(الاسلوب عند حازم القرطاجني، دراسة في ماهيته ومهمته)، د.قاسم المومي، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، ع13، 1988م

اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي الافريقي (ت1393هـ)، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، ويليه دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبد والاعجاز، اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1، 1417هـ . 1996م

اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق . بيروت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، دار الارشاد للشؤون الجامعية، سوريا، ط10، 1430هـ . 2009م

البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (ت745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د.زكريا عبدالمجيد النوتي، ود.احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، ببيروت . لبنان، ط2، 1428هـ . 2007م

(البناء النحوي في سورة الفيل)، عبدالله خليف خضير الحياني، مجلة التربية والعلم، مج 13، ع4، 2006م/32

البنيات اللسانية في الشعر، سمويل.ر.ليفن، ترجمة: محمد الولي، وخالد التوازني، منشورات الحوار الأكاديمي، المغرب، (د.ط)، 1989م

التحرير والتنوير، الامام محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور (ت1393هـ)، دار

سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط)، (د.ت)

التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف، (د.ط)، 1945م

تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت774هـ)، اعتنى به ابو صهيب محمد بن سالم، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د.ط)، 1430هـ . 2009م

تناسق الدرر في تناسب السور المطبوع باسم (أسرار ترتيب سور القرآن)، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان،ط1، 1424هـ . 2003م

ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي، محمود عبد الوهاب، (د.ط)، (د.ت).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، تصحيح علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1، 1421هـ . 2001م

الحجة في القراءات السبع، الحسين بن احمد بن خالويه (ت370هـ)، تحقيق: د.عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط2، 1397هـ . 1977م

الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطابع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، (د.ت)

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة . العراق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 19990م.

دلائل الاعجاز، الامام عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ)، شرح وتعليق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط1، 1424هـ . 2004م.

سنن أبي داود، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي (ت275هـ)، ضبطه: محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط3، 1428هـ . 2007م

سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت297هـ)، ضبطه وصححه: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط3، 2008م

شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (ت672هـ)، ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (769هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة . مصر، ط2، 2004م

صحيح مسلم، الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت . لبنان، ط5، 2008م
صفوة التفاسير، تفسير للقران العظيم جامع بين المأثور والمنقول، محمد علي الصابوني، دار الحديث، القاهرة، دار الصابوني، مصر، ط10، (د.ت)
(علم الاسلوب وصلته بعلم اللغة)، د.صلاح فضل، مجلة فصول، مج 5، ع1، 1984م
علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د.سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة . مصر، ط1، 1424هـ . 2004م
الفاصلة في القرآن / 264 . 267.
(في جدل الحداثة الشعرية)، عبدالسلام المسدي، مجلة الاقلام، دار الشؤون الثقافية، العراق، ع12، 1989م
قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب، ط1، 1988م
الكتاب، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2، 1403هـ . 1983م
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ) ،اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه : خليل مأمون شيحا، وعليه تعليقات كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للامام ناصر الدين ابن منير المالكي، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط1، 1423هـ . 2002م
لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت725هـ)، ضبطه وصححه: عبدالسلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1425هـ . 2004م
لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي،(د.ط)، 1988م
(اللغة المعيارية واللغة الشعرية)، بان موكاروفسكي، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م
اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة : د.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد . العراق، ط 1، 1987م
ماءات القرآن، نور الدين ابو الحسن علي بن الحسين الضرير الباقولي الملقب بـ(جامع العلوم النحوي (ت543هـ)، تحقيق: د.عبدالقادر عبدالرحمن السعدي، طبع دار الانبار للطباعة والنشر،

بغداد . العراق، ط1، 1424هـ . 2003م

مجاز القرآن، ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت211هـ)، تحقيق وتعليق: احمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1427هـ . 2006م

مسند الإمام احمد، احمد بن حنبل ابو عبدالله الشيباني (ت241هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ط).

المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت792هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط2، 1428هـ . 2007م

معالم التنزيل، الامام ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت516هـ)، اعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط5، 1423هـ . 2002م

معجم القراءات القرآنية، د.عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق . القاهرة، ط2، 1430هـ . 2009م

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، حققه وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،ط2، 1429هـ . 2008م

مفهوم النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية))، نصر حامد ابو زيد، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م

المكتفى في الوقف والابتداء، ابو عمرو الداني، تحقيق: جايد زيدان مخلف، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، العراق، (د.ط)، 1984م

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل وتوجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الإمام أبو جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت708هـ)، وتحقيق: عبدالغني حمد على الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 2006م

النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007م

النص والسلطة والحقيقة، ارادة المعرفة وارادة الهيمنة، نصر حامد ابو زيد، منشورات الاختلاف، الجزائر، لبنان، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، (د.ت)

النظرية الادبية المعاصرة، رامان سلون، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت . لبنان، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996م
نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، مجموعة مؤلفين، ترجمة : ابراهيم الخطيب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت . لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط1، 1982م
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1427هـ . 2006م
النقد والاعجاز، محمد تحريشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق . سوريا، (د.ط).

Textual interaction and its role in the coherence of the Qur'anic text A Study of Selected Examples from the Holy Qur'an

Abstract

The research aims to shed light on linguistic elements, whether textual or extratextual, as they are an important driver of coherence. Coherence may be viewed as inherent in the text, a view that is highly accurate, as the Qur'anic text possesses elements of coherence and its potential, ranging from formulas and structures to semantics. Coherence may also exist outside the text, meaning that the recipient is the one who judges a text to be coherent. The elements of textual interaction are not hidden from us, as they are not related to the text alone, but rather extend beyond it to its recipient, sender, context, and all elements of the communication process. The text, with its contents and interacting elements, generates internal harmony, and the recipient, with his culture and thought, qualifies him to interact with this or that text in different ways, in addition to the role of the context and the rest of the elements of the communication process in this interaction between the text and the recipient, from which harmony is generated between the two parties. Therefore, the internal or external textual interaction was the result of the general harmony in the entire communication process, especially between the text and its recipient. Due to the narrow scope of the research, we adhered to selected models, and the research relied on the descriptive and analytical approaches.

Keywords: text, coherence, textual interaction, discourse